

العدد 1 - أفريل 2015

الثمن: 5,000 د.ت



مجلة سنوية تصدر عن منتدى الفارابي للدراسات والبدائل بمناسبة انعقاد «ملتقى صفاقس للمعالم والأعلام»



انظم الملتقى في دورته الأولى بالتعاون مع جامعة صفاقس وبلدية صفاقس والمندوبيّة الجهويّة للثقافة بصفاقس

فهرس المباحث

7	ثورة عمر الفرياني على النّرمان بصفاقس (551هـ - 1156م) الشيخ علي النوري الصفاقي العالم ورائد الإصلاح في تونس في القرنين 11 و 12هـ / 17 م	طه مصدق كعنيش يونس يعيش
19	الشيخ محمد العذار: رجل العلم والقضاء الشيخ محمد عمار (1853-1923) صورة من المشهد الثقافي لمدينة صفاقس في القرن التاسع عشر	نادر المنيف فراص الطرابلسي
35	أحمد ملاك رائد الشعر الشعبي بجهة صفاقس في القرن التاسع عشر	علياء العربي
41	الشيخ محمد مزيid سور صفاقس: قلعة نضال تعليم الكتاتيب بصفاقس قبيل فرض الحماية الفرنسية على البلاد التونسية (نهاية القرن 13 هجري / 19 ميلادي)	منجد عبدالعزيز مزيid نادر المنيف علي الزيدي
49	المعرض التشكيلي «في حضرة عم خميس» Mohamed Fendri	وسام بن شيخة Nabiha Jeddi
55	et la sauvegarde du patrimoine tunisien	
59		
67		

كلمة المنتدى

لـما مستقبل لشعب لا ذاكرة له.
وذاكرة شعب لا يثبت نحو المستقبل ذاكرة محنطة.

«ملتقى صفاقس : المعالم والأعلام» تظاهرة متعددة تهدف في دورتها الأولى إلى التعريف بأعلام صفاقس ومعالمها وإلى حث الباحثين على البحث في تاريخ الجهة القديم والحديث والعاصير. ومن أهداف الملتقى إصدار نشرية ورقية ورقمية تعمل على حفظ الذاكرة الجماعية في أوجها المختلفة.

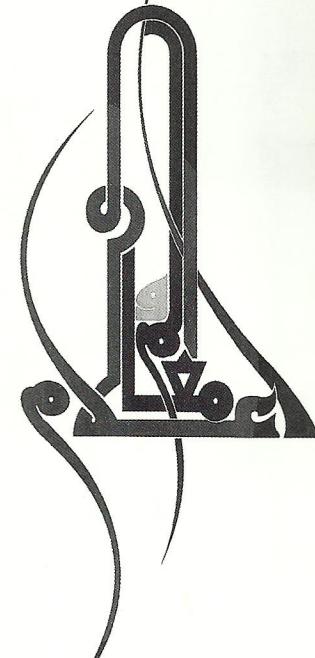
ويعمل هذا الملتقى على أن تكون محاور النظر متعددة تعكس ثراء المخزون الثقافي لجهة صفاقس في مجالات العلوم والفنون والآداب والتربية والصنائع والمهارات... ونسعى إلى التعريف بالمعالم الأثرية من ناحيتها وبالعالم شديدة الارتباط بحياة المواطن والمؤثرة في مخزونه المعرفي والوجوداني والمعيشي من ناحية أخرى.

ويستند هذا الملتقى إلى تصوّر منهجي عامٍ يتمثل في أن يكون البحث في الأعلام محيلاً إلى المعالم التي اقتربت سيرة الأعلام بها، وأن يكون البحث في المعالم مناسبة لذكر الأعلام الذين ارتبطت حياتهم وأعمالهم بها.

وليس هذا الملتقى جهويًا إلا لأن صفاقس هي مكان انعقاده. وبصفاقس يوجد المقر المركزي لجمعية منتدى الفارابي. أمّا محاور الملتقى من حيث العالم والأعلام فهي مفتوحة مستقبلاً على كل ما تزخر به ربوع تونس من ثراء على أكثر من صعيد تراثي وثقافي. ونحن نسعى من خلال هذا الملتقى إلى تركيز الأسس الأولى لقسم الدراسات التراثية والتاريخية الذي ينوي منتدى الفارابي بعثه للبحث في معالم الوطن العربي والعالم الإسلامي وأعلامهما. وعسى أن تتضخم الرؤية من دورة إلى أخرى فيفتح الملتقى على الأفق العالمي.

د. سالم العيادي

رئيس المنتدى



مجلة تونسية

تصدر عن منتدى الفارابي
للدراسات والبدائل
بمناسبة انعقاد

«ملتقى صفاقس للمعالم والأعلام»
بالتعاون مع جامعة صفاقس
وبالشراكة مع جمعية صفاقس
وبالشراكة مع جمعية الجهة
للثقافة بصفاقس

جميع الأحتمالات
أ.د. علي الزيدي

ملاحظات الخوري
الأستاذ فاضل دريال
الأستاذ صابر الخراط

تشخيص وتحصيم
المهندس فيصل العش

التحصيم شعار الملتقى
بالخط الكوفي الصفاقسي:
الفنان خليل بودية

الشيخ محمود عمار

(1853 - 1923)

صورة من المشهد الثقافي

للمدينة صفاقس ضي قرن التاسع عشر

يقول: فراسن الصرابيسي

مقدمة

يعتبر الحديث عن «الذاكرة» مسألة هامة في مختلف الأطوار التاريخية للمجتمعات، إذ هي- بمعنى من المعاني- شاهد حقيقي على قيمة النشاط الفكري والثقافي، ويمكن من خلالها تقييم محطات بأكملها من التاريخ. وليس «ملتقى صفاقس: المعلم والإعلام» إلا فرصة لتمكين الذاكرة الجماعية من أن تتفتح وتتصفح عما بين ثناياها من أحداث وأعلام مبدعين ومعلم ارتبطت بأنشطة علمية وفكرية وعادات وتقالييد، كانت في الحقيقة خير شاهد على نمط الحياة وخصوصياته الدقيقة التي قد يغفل عن ذكرها التاريخ الرسمي المكتوب. هذا علاوة على ما للذاكرة من علاقة تلازم مع «الهوية»، إذ لا يمكن أن نزيف أو ننفي ذاكرة الشعب الحبلوي بتراثه حضارية وتاريخية وثقافية يرفض حتماً أن يتخلّى عنها أو يرضي بمحقها. فإذا انتفت الذاكرة أصبح من العبث أن نتحدث عن رغبة أو إرادة لقول الهوية.

من هذا المنطلق، اخترت في إطار هذا الملتقى أن أنطلق من مداخلة موضوعها هو أحد أهم أعلام مدينة صفاقس، عاش مخضراً بين أواسط القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، وهو الشيخ الفقيه المتوفى «محمود عمار» (1853-1923).

(1) محمود عمار(نبذة عامة عن مسيرته العلمية وحياته الإجتماعية)

ولد «محمود عمار» بالمدينة العتيقة بصفاقس في حومة «سيدي علي الكراي» سنة 1853 في حضن عائلة ثرية، إذ كان والده «إمحمد عمار» من أعيان مدينة صفاقس، ولقد شغل «إمحمد عمار» مناصب هامة أهمها:

* نقيب أشراف صفاقس (قبل 1885)⁽¹⁾

* أمين معاش

* عدل

* عضو بمجلس الجنایات بصفاقس (سنة 1864)⁽²⁾

* شيخ منطقة (في حدود سنة 1872)⁽³⁾

* وكيل على سور صفاقس والجامع الكبير كنائب في جمعية الأوقاف.

وله أملاك مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال حسب ما تؤكد الوثائق الخاصة بمكتبة «محمود عمار»:

(1) راجع: المكنى (عبد الواحد)، النخب الاجتماعية التونسية.

(2) راجع: بن بلغيث، (الشيباني)، النظام القضائي في البلاد التونسية (1857-1921).

(3) عبد الكافي، (أبو بكر)، تاريخ صفاقس، الجزء 3.

معصرتا زيتون بالشراكة مع الوزير الأكبر محمد العزيز بو عثور.

ولكنه رغم ذلك كان مؤدباً متطرقاً لتحفيظ القرآن الكريم بزاوية «سيدي علي الكرّاي» ويدرك «أبو بكر عبد الكافي» أنه كان له قرابة الستين طفلاً يحضون بعاليته في تلك الزاوية. ومن المفترض أن يكون ابنه «الشيخ محمود عمار» - موضوع مداخلتنا. قد حفظ عنه أجزاء من كتاب الله العزيز.

تحول الشيخ «محمود» بعد مراحل التعليم الأولى في الزاوية إلى الجامع الكبير في صفاقس أين تعلم المبادئ الأولى للفقه الإسلامي. ثم واصل دراسته في جامع الزيتونة بتونس العاصمة، وكان من حسن حظه آنذاك أن حظي برعاية الوزير «محمد العزيز بو عثور» شريك والده «إِمَّحْمَد» وصديقه.

بعدما أتم دراسته في جامع الزيتونة عينه الباي قاضياً غير أنّ «محمود عمار» اعتذر عن مباشرة هذا المنصب. وعاد إلى مدينة صفاقس وتزوج سنة 1876، ثمّ وقع انتخابه إثر وفاة أبيه وكيلاً على أوقف سور صفاقس والجامع الكبير وذلك في مقرّ «العامل» آنذاك وبحضور عدد من الشخصيات المرموقة التي نذكر منها في غير حصر: المفتى «الحاج محمد طريفة»، والمفتى «أحمد الفراتي» والشيخ القاضي «الحاج محمد العذار» والسيد «عمر قدّور» خليفة صفاقس، وذلك سنة 1885.

وتبيّن بعض الوثائق الخاصة الموجودة بمكتبة «الشيخ محمود عمار» أنّ صاحبنا كان فقيها ومدرّساً، وهي رتب علمية استقيناها من وثيقة صداق إبنته «عيشوشة» (عاشرة)، ولم نعثر للأسف في مكتبه على نصوص أو وثائق في نشاطه التدريسي. كما كان كذلك قارئاً ونقيباً لأشراف صفاقس.

من جهة أخرى، رُوي بالتواتر الشفوي عن أبنائه ثمّ أحفاده أنّ «الشيخ محمود» كان مولعاً بقراءة الكتب في مختلف حقول المعرفة وكذلك شرائهما، بحيث كان يقتنيها خصيصاً من خارج البلاد التونسية. على ذلك يتضح أن مكتبه ثرية ومتّوّعة رغم قلة عدد العناوين ورغم ما فعل بها الدهر من إتلاف على مرّ الزمان نتيجة الظروف الطبيعية والسياسية التي مرّت بها البلاد التونسية على عهده. وهي تبرهن بكلّ الصفات على اهتمامه الخاصّ بشؤون الفكر والثقافة. فهو إذا شيخ فقيه ومدرس متّفق لا يقف عند مؤلفات الفقه الإسلامي بل يحاول فهم مجالات المعرفة الأخرى وإبداء الرأي فيها أحياناً.

(2) مكتبة الشيخ محمود عمار

تضمّ مكتبة الشيخ «محمود عمار» قرابة المائة عنوان في مختلف حقول المعرفة، كالتأريخ والأدب والفقه والزّراعة والفلك والطبّ والشعر والتصوف والموسيقى. ونصنفها كالتالي:

1-2 كتب التاريخ

- كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، حمد بن محمد المقرى التلمساني، المطبعة الأزهرية بمصر، 1303هـ.

- كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، أبو الحسن بن علي المسعودي.

- كتاب «الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية»، أحمد بن السيد زيني دحلان.

- نزهة الأنوار في علم التواريχ والأخبار، محمود مقديش / الطبعة الحجرية + نسخة مخطوطه نادرة.

2-2 كتب اللغة والأدب

- كتاب «شرح شواهد المغني»، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

- كتاب «المقامات/ مقامات الحريري»، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري.

- كتاب «لزوم ما لا يلزم»، أبو العلاء المعربي.

2-3 كتب في الفقه

- كتاب «الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين حديثاً النووية»، إبراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخطي (متوفى سنة 1106هـ)

- كتاب «مختصر المولد النبوي»، سيد البرزنجي

- كتاب «شرح مراقي العبودية على بداية الهدایة»، محمد نووي بن عمر البنتني الجاوي.

- كتاب «منهاج العابدين»، أبو حامد الغزالى.

- كتاب «لباب التأويل في معانٍ التنزيل (تفسير الخازن)»، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن.

- كتاب «حاشية الشيخ علي العدوى على شرح العزية»، للشيخ عبد الباقى الزرقانى.

- كتاب «البهجة في شرح التحفة»، للإمام «أبي الحسن علي بن عبد السلام بن علي التسولى (ت 1258هـ) هو شرح على الأرجوزة المسماة «تحفة الحكم»، «أبي بكر محمد بن عاصم الغرناطي (ت 829هـ) / فقه مالكى».

- كتاب «الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعى»، أبو حامد الغزالى.

- كتاب «تفسير الجلالين»، جلال الدين محمد بن أحمد المحتلي، محمد بن احمد 864هـ اتمه الجلال السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر 911هـ.

- كتاب «السراج المنير شرح الجامع الصغير»، علي بن أحمد بن نور الدين العزيزى.

- كتاب «تبصرة الحكم في أصول الأقضية و منهاج الأحكام»، إبراهيم شمس الدين محمد بن فردون اليعمرى المالكى برهان الدين أبو الوفاء.

- كتاب «أنوار البروق في أنواع الفروق (كتاب الفروق)»، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي الشهير بـ: «القرافي».

- كتاب «اليواقى والجواهر في عقائد الاكابر»، عبد الوهاب بن احمد الشعراوى.

- كتاب «تحفة الحكم في نكت العقود والأحكام»، أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم القيسى الغرناطي.

- كتاب «المواافقات»، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبى الغرناطي أبو إسحاق.

- كتاب «ابتسام الغروس و وشى الطروس»، عمر بن علي الجزائري.

- كتاب «حاشية محمد الدسوقي على شرح ام البراهين لمحمد السنوسى»، محمد الدسوقي.

2-4 كتب الأدلة والفالئرس والتراجم

- كتاب «نور الابصار في مناقب الـ بيت النبي المختار»، مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي-عبد العزيز سالمان.

- كتاب «كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون»، حاجي خليفه، طبعة مطبعة العالم 1310هـ.

- كتاب «الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب»، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فردون اليعمرى المدنى المالكى وبهامشه

- كتاب «نيل الابتهاج بتطریز الديباچ» لأحمد بابا التنبکتی.
- كتاب «تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارعات والترجم و البقاع المبارکات»، أبي الحسن نور الدين السخاوي.
- كتاب «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ.

5-2 كتب في الطب

- كتاب «الرحمة في الطب والحكمة»، جلال الدين السيوطي.

6-2 كتابان في علم الزراعة

7-2 كتب في المذاهب النبوية

- كتاب «شرح قصیده کعب بن زهیر فی مدح النبی - بانت سعاد»، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن هشام الانصاري.

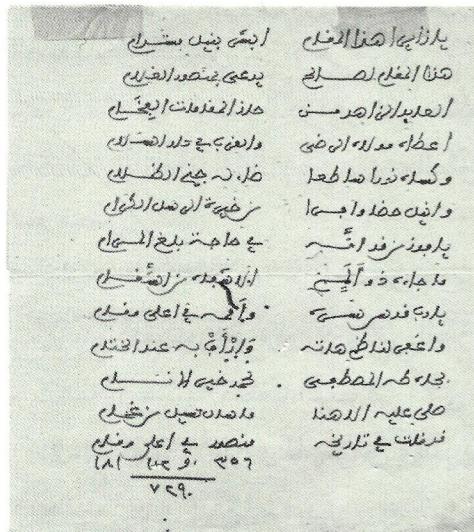
- كتاب «حاشیة العلامة إبراهیم الباجوری علی متن البردة»

- كتاب «دلائل الخیرات وشوارق الانوار فی ذکر الصلاه علی النبی المختار»، أبو عبد الله محمد بن سلیمان الجزوی .الجزوی، أبو عبد الله محمد بن سلیمان .

- كتاب «فتح الرحیم الرحمن، شرح لامیه الاستاذ ابن الوردي نصیحه الأخوان»، مسعود بن حسن بن أبو بکر القناوی الشافعی.

8-2 مسودات في معارف مختلفة(التصوف والفلک والطب والفلاحة)

اشتملت مكتبة «محمود عمار» كذلك على عدد من المسودات الخاصة به في مجالات الطب والفالك والتصوف، وهي في الحقيقة محتاجة إلى إعادة ترتيب وتصنيف من المختصين، لكن أهم ما جاء فيها أنها تصور آراء الشیخ الفقیہ في مجالات معرفية مختلفة غير الفقه والتفسیر.



ولعل أطرف ما ذكره في هذا الإطار قصيدة من تأليفه يعدد فيها مناقب الولي الصالح «الغلام منصور»، التي يقول مطلع نصها:

يا زائرًا هذا المقام	أبشر بنيل يُستدام
هذا المقام لصالح	يدعى منصور الغلام
العايد الزاهد من	حاذر المقامات الفخام
أعطاه مولاه الرضا	والقرب في خلد السلام
وكساه نورا ساطعا	ضاء له جنح الظلام

9-2 مؤلفات في الموسيقى

1-9-2 مخطوط «ديوان المسرّات في علم النغمات»

هو أحد أهم مؤلفات الشیخ «محمود عمار» بصفة عامة وفي مجال الموسيقى خصوصاً، ويكتب أھمیتھ من حيث هو مخطوط من تأليفه الخاص. غير أن هذا المخطوط يمكن اعتباره إما جزءاً من

كتاب أكبر مفقود أو جزءاً منقولاً من رسالة في الموسيقى لأبي الصنّان أميّة بن عبد العزيز الإشبيلي الأندلسي (1067-1134م) الذي لا توجد منها إلا نسخة واحدة مترجمة للغة العبرية. ولقد جاء هذا المخطوط في شكل مقدمة وثلاثة أبواب.

٩-٢ مخطوط «سفينة الفلك/الملك»

هو مخطوط مجهول المؤلف -قد يكون على الأرجح حسب تقديرنا لشهاب الدين الحجازي المصري- ولقد نسخه بخطٍّ مغربي المغفور له « محمد بن الحاج حمودة بن الرئيس علي القصاديри» سنة 1285هـ، وهو يحتوي على 236 ورقة من الحجم المتوسط، وهو بحاجة كبيرة إلى التنظيم بحكم ما وجدهنا فيه من اضطراب في ترتيب صفحاته.

وتكمّن أهميّة هذا المخطوط النادر في احتوائه على عدّة نصوص لم يتم إدراجها في *أسفار المالوف* التونسي الرسميّة التي أشرف على تنظيمها خاصّة كل من صالح المهدي ومحمد التريكي، وقد يعود ذلك حسب ما يعتقد -لعجزهم آنذاك- على جمع وحصر كل المدونات الشفويّة للمالوف التونسي برواياته المختلفة من مختلف جهات البلاد التونسيّة. وتتجدر الإشارة إلى أنّ الباحث الاستاذ «وجدي عليه» المختص في العلوم الموسيقية بالمعهد العالي للموسيقى بصفاقس، قد توصل إلى ترميم البعض القليل من هذه النصوص الشعريّة من خلال إيجاد الرواية الشفويّة المغنّاة المتعلّقة بها في «جهة تستور» إحدى أهم المناطق التونسيّة الحاضنة للمالوف التونسي.

وفي القرص المضغوط المصاحب لهذا العدد تجدون تسجيلاً نادراً مكتناً منه الباحث «وجدي عليه» لرجل معروف وهو «برول من النوى» في طبع الإصبعين برواية تستور: (محمود عمار ١)

وهكذا فإن العمل على هذا المخطوط من قبل الباحثين المختصين سيساهم حتما في تشكيل مدونة سمعية قديمة-جديدة من خلال البحث في ما يقابل تلك الأرجال والموشحات من نصوص موسيقية مغناة يجب جمعها في أقرب وقت من أفواه شيوخ المallow أينما وجدوا.

3-9-2 دائرة الطبوع: روایة محمود عمار/رواية صفاقس

وهي عبارة عن قصيدة من نظم الشيخ «محمود عمار» في ترتيب الطّبوع التونسي على عهده، وهي وثيقة نادرة تحمل نفس فكرة ما يُسمى بناعورة الطّبوع المتداولةاليوم وهي من نظم الشيخ محمد الطريف العلام والمتصوف التونسي المتوفي سنة 787هـ/1385م والمدفون بجبل المنار بسيدي بوسعید.

وقد تكون هذه الوثيقة جزءاً من مخطوطه سابق الذكر الخاص به، وفي ما يلي نصّها الشّعري الذي يبتدئ بجملة تمهيدية يقول فيها «محمود عمار» ما يلي:

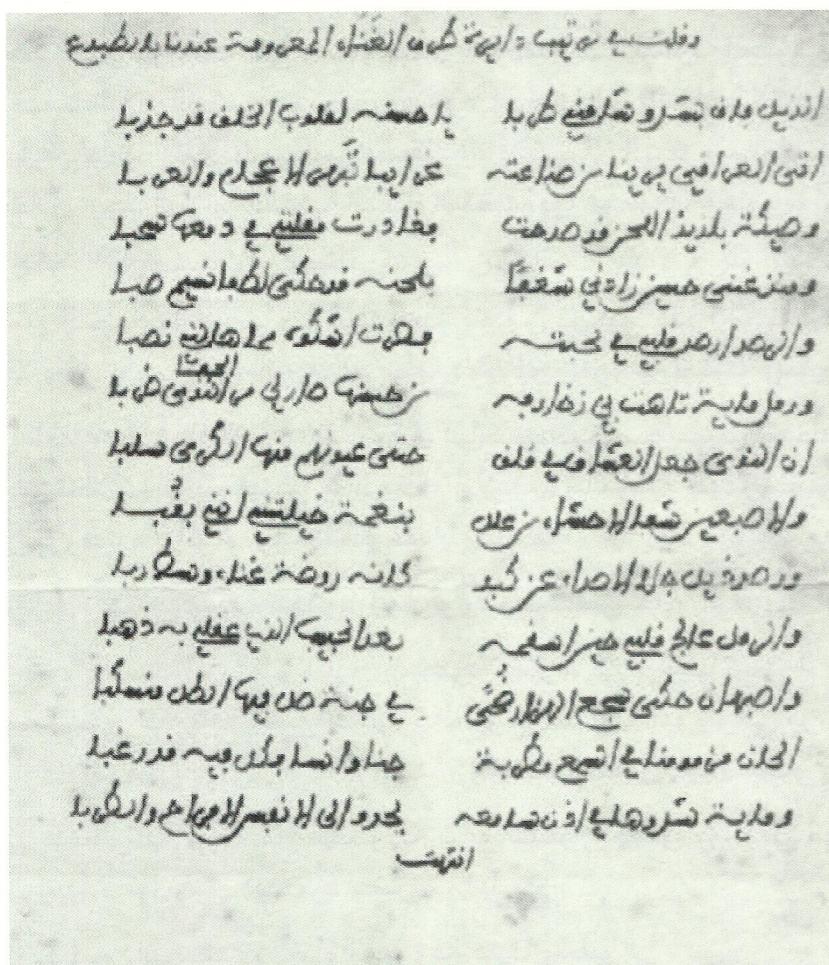
«وَقُلْتَ فِي تَرْتِيبِ دَائِرَةِ طَرْقِ الْغَنَاءِ الْمُعْرُوفَةِ عَذْنَا بِالظَّبْوِعِ»:

الذيل فاق بشدو شاقني ط ربا
أتى العراق يرينا من صن ساعته
وصيكة بلذيد اللحن قد صدحت
ومنذ غنى حسين زادني شغفَا
والرّصد أرصد قلبي في محبته
ورمل مایة تاهت بي زخارفه

حتى عيونهم منها الكرى سلبا
بنغمة خيالي أتنى بقبرا
كأنه روضة غناء وسط ربى
بعد الحبيب الذي عقلني به ذهبا
في جنة ظل فيها الطُّلُّ⁽⁵⁾ منسوبا
جنا وإنسا فكل فيه قد رغبا
يحدو إلى الأنفس الأفراح والطربا

«انتهت»

إن النوى جعل العشاق في قلق
والإصباغ شفا الأحساء من عالم
ورصد ذيل جلا الأصداء عن كبد
والرمل عالج قلبي حين أسممه
وإصبهان حكى سجع الهازار⁽⁴⁾ ضحى
الحان مزمومنا في السمع مطربة
وماية شدوها في أذن سامعه



صورة لقصيدة الخاصة بترتيب الطبوع بخط يد الشيخ محمود عمار

(4) الهازار: طائر حسن الصوت. وهو مصطلح فارسي معرب: ويقال له: هزار دستان، لأنَّه يغني أحياناً كثيرة. و«هازار» في الفارسية يعني الآلاف (المعجم الوسيط)

(5) الطُّلُّ المطر الخفيف يكون له أثر قليل. وفي التنزيل العزيز: «فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابْلُ فُطْلُ / البقرة آية 265» والطُّلُّ الندى الذي ترسله غُرُوق الشجر إلى غصنونها. (المعجم الوسيط)

هذا النص تحدّث عنه محمد بوديّة في أحد الحوارات الخاصة النادرة وغنى منه جزءاً يمكنكم الاستماع إليه من خلال التسجيل الموجود بالقرص المضغوط المصاحب لهذا العدد (محمود عمار²)، وهو في الحقيقة تسجيل نادر قدّمه السيد «علي الحشيشة» للباحث «وجدي عليلة» وعرضه هذا الأخير في مداخلة له حول «محمود عمار» في جانفي 2012 بالمعهد العالي للموسيقى بصفاقس، أمرّره اليوم بدورني لستمعوا إليه في «ملتقى صفاقس: المعلم والأعلام».

وقد توصل مؤخراً السيد الأسعد الزواري (وهو مدير سابق للمعهد العالي للموسيقى وباحث موسيقي) إلى القيام برؤيه فنية لهذه الدائرة وقدّمها في ثوب لحني خاص بتنفيذ فرقة «أوتار المدينة» صاغه على كلمات القصيدة بأسلوب تقليدي يتناسب مع طبيعة وموضوع النص الشعري. وذلك في إطار عرض موسيقي بعنوان «من النوى 2» أقيم بالمسرح البلدي في تونس في 29 مارس 2013.

ويمكنكم الاستماع إلى مقتطف من هذا اللحن من خلال التسجيل الموجود بالقرص المضغوط المصاحب لهذا العدد (محمود عمار³)

3-8-2 كراسات في المالوف التونسي

وهي ثلاثة كراسات تحتوي إحداها على نصوص شعرية مصنفة حسب أسماء التوبات، أمّا الكراستان المتبقيتان فتحتويان على جملة من القصائد والأشغال في طبوع مختلفة يجدر بالباحثين الموسيقيين إعطاءها نصيباً من العناية حتى تتم إعادة نسخها وتصنيفها والبحث على ألحانها من أفواه ما تبقى من شيوخ المالوف سواء في الجد أو المهرل.

(4) إهتمام محمود عمار بجمع للمالوف التونسي وممارسته

إنّ علاقة محمود عمار برصد المالوف التونسي كانت نتيجة أمور ثلاث:

- ارتياه لمجالس الذّكر بزاوية سيدي بحسن الكراي في صفاقس.
- ارتياه لمجالس سيدي بحسن الشاذلي عند تواجده بالعاصمة تونس.
- مجالسته لأحد أهمّ أرباب صناعة غناء المالوف وهو «محمد اللوز».

ولقد ولع بالموسيقى والتّراث المغاربي-الأندلسي وبحفظ العديد من التوبات والأشغال والأزجال⁽⁶⁾. واعتبره الباحث «علي الحشيشة» من شيوخ المالوف بجهة صفاقس صحبة معاصره «محمد العش». إذ تفيد بعض الصور والوثائق بالمكتبة أنّ الشيخ «محمود عمار» كان قد خصّص منزله على شاطئ البحر بطريق سيدي منصور وبمقربة من ضريح «الغلام منصور» لممارسة إنشاد المالوف صحبة عدد من أصحاب الصناعة.

ولقد كان للشيخ «محمود عمار» الفضل في مدّ الشيخ «محمد بوديّة» بعدد كبير من الأشغال والتوبات وقد أشار عليه بأن يتعلم العزف على آلة الكارنيطة (كلارينات) وجلبها له من فرنسا⁽⁷⁾. ويقال عبر التواتر الشّفوي من أفواه الأقارب والأصدقاء من عائلة عمار أنّ «محمود عمار» كان ساهم في تحفيظ أجزاء من المالوف لكل من «محمد بوديّة» و«محمود قوبعة» و«سعيد الزواري».

(6) الحشيشة، (علي)، السماع عند الصوفية والحياة الموسيقية بصفاقس في القرنين 19 و20، ص 106 و107.

(7) الحشيشة (علي)، المرحوم الشيخ الفقيه محمود عمار (1853/1923)، جريدة شمس الجنوب، صفاقس، العدد 36، 2013، ص 22.

وفي نفس الإطار نقل لنا حفيده «خالد عمار» (حفظه الله) عن أحد أهم أصدقاء عائلة عمار وهو الشيخ المعمر «محمد المصمودي» أطّال الله في عمره وكذلك عن المرحوم «مصطفى المهيري» زوج عمّة الحفيد «خالد عمار» أنَّ السيد «محمد بوديَّة» كان في كلّ مرّة ينضمُّ فيه حفلاً خاصاً إلَّا ويسأل حريفه الذي سيدفع له المقابل المادي هل سيكون كُلُّ من «مُحَمَّد عمار» و«محمد العش» أو أحدهما حاضراً في ذلك العرس البهيج. لأنَّ حضورها سيكأْفِي صاحب الحفل ثمناً زائداً عن القيمة المادية المعتادة، إذ سيحرص «محمد بوديَّة» في حضرتهما أن يتقن صناعة غناء المأْلوف دون أخطاء في الإلقاء أو النصوص الشعرية بما يتطلّب منه مجاهداً إضافياً.

(5) الخاتمة

«مُحَمَّد عمار»، هذا الرَّجُل الثريُّ الذي اهتمَّ بشؤون الفكر والفن وبذل في سبيل ذلك الوقت والمال، يذكرني إلى حدٍ ما بمستشرق قدم إلى تونس ونال من الشهرة ما لم ينله أحد من أبناء البلد وهو البارون «فرانسوا رودولف ديرلانجي». فعلى الرغم من أنه بذل من ماله إلَّا أنه لا يمكن مقارنته بمُحَمَّد عمار الذي حفظ في صدره ذاكرة برمتها، ذاكرة المأْلوف حصيلة ما نابع من المغرب نحو الأندلس، كما لا يمكن مقارنته حتى مع من أنجز أعماله الكتابية أمثل «المنobi السنوسي» و«محمد سعيد الخصي» وغيرهم كثيرون.

أعود إذا في النهاية إلى الإشارة مجدداً إلى أهميَّة الذاكرة في إبراز الهوية الجماعية، فلا هوية بدون ذاكرة ولا ذاكرة بدون وعي. بناء على ذلك يجب أن نسعى بكل طاقتنا إلى تثبيت الوعي الجماعي بأهميَّة ذاكرتنا الثقافية والعلمية والتاريخية حتى لا تبقى الهوية حبيسة مفاهيم تتأرجح فقط بين الدين واللغة – التي لا يمكن نكرانها من حيث المبدأ كمكونات أساسية للهوية – ولكنها قابلة للتَّوسيع لتشمل تفصيلات أخرى قد تتبع من هذا أو ذاك فتكون أكثر التصاقاً بالوجود والعقل

